الصباح الإسلامية
08
إشراف : ياسر السيد
العدد 2517 - السنة التاسعة
الجمعة 10 شوال 1437 - الموافق 15 يوليو 2016
Friday 15 July 2016 - No.2517 - 9th Year

هو تجاوز الحد في كل ما يفعله الإنسان

الإسراف والتبذير ليسا من الإسلام

الإسراف: هو تجاوز الحد في كل فعل يفعله الإنسان، وهو في الإنفاق أشهر، يقول تعالى: ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾ (31) سورة الأعراف.

فالإسراف يشمل كلّ تجاوز في الأمر، وقد جاء في القرآن الكريم على معان متقاربة ترجع جميعها إلى الأصل اللغوي، وهو التجاوز في الحد.

من أهم مظاهر الترف: الإسراف في إنفاق الأموال وتبديدها دون ضرورة مما يحرم مستحقيها فيشيع من جراء ذلك البؤس والشقاء في الطبقات الكادحة، ومن البؤس والشقاء يتفجر الحقد، وتروج الرذيلة، ويثبت الإجرام.

فالإسلام يرى: أن مال كل فرد هو مال الأمة، وهو في الأصل مال الله أعطاه للإنسان وديعة لينفقه على نفسه وعلى مجتمعه في سبيل الخير، وهذا ما صرح به القرآن:

(وآتوهم من مال الله الذي آتاكم) ؟ النور:33

(وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) الحديد:7

فإسراف الغني في إنفاق المال وتبذيره بغير الطرق المشروعة هو إعتداء على مجموع الأمة، لأن المال عصب الحياة ومصدر قوة الأمة، به تنشأ المعامل التي تؤوي العاطلين عن العمل، وبه تستصلح الأرض للزراعة، وبه تحصل الأمة على السلاح الذي يقيها من اعتداء الغير، وغير ذلك مما فيه رقاهيتها وصلاحها.

ولهذا يأمر الإسلام الحكام أن يكونوا عينا على تصرفات الأفراد ليحولوا بينهم وبين كل إسراف وتبذير لأموال الأمة بغير حق

ولقد وصف الله المبذرين بالسفه، وأمر بالحجر على أموالهم.

قال سبحانه وتعالى:

(وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا) النساء:5

في هذه الآية إشارتان بليغتان في النهي عن التبذير:

الأولى- قوله تعالى (أموالكم) ليلفت الأنظار إلى أن مال السفيه، هو مال الأمة.

الثانية - قوله تعالى: (التي جعل الله لكم قياما) أي أن الأموال جعلها الله لتقوم عليها مصالحكم فيجب المحافظة عليها وعدم إعطائها للسفيه.

ولقد راج التبذير في مجتمعنا في الطبقة الغنية والطبقة المتوسطة، وهذا ما ينذر بأوخم العواقب.

ولهذا نهى الإسلام عن الإسراف و التبذير فقال تعالى:

(وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ؟ إنّهُ لا يُحبُ المُسرفين) الاعراف31

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم:

(إن الله كره لكم ثلاثا: قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال)

والإسراف كما يكون من الغني فإنه يكون من الفقير، ولهذا قال سفيان الثوري رضي الله عنه: «ما أنفقت في غير طاعة الله فهو سرف، وإن كان قليلا». وكذا قال ابن عباس رضي الله عنه: «من أنفق درهما في غير حقه فهو سرف».

(الإسراف في الذنوب والكفر)

ويقول في شأن الإسراف في الذنوب والكفر: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾ (53) سورة الزمر.

(الإسراف من صفات الكافرين)

والإسراف صفة من صفات الكافرين: يقول تعالى: ﴿وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه﴾ (127) سورة طه. وهو صفة من صفات الجبارين الذين يملكون بأيديهم السلطة والمال، يقول تعالى: ﴿وإن فرعون لعال في الأرض وإنه لمن المسرفين﴾ (83) سورة يونس. وقال تعالى: ﴿ولا تطيعوا أمر المسرفين﴾ (151) سورة الشعراء.

العلاقة بين الإسراف والتبذير

الإسراف والتبذير، يلتقيان في معنى الإنفاق بغير طاعة، ولكن الإسراف أعمّ من التبذير: لأن التبذير معناه التفريق، وأصله إلقاء البذر في الأرض، واستعير لكل مضيّع ماله، يقول تعالى: ﴿إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين﴾ (27) سورة الإسراء.

العلاقة بين الإسراف والسّفه

والإسراف والسفه يلتقيان في معرض الغفلة والطيش وخفة النفس ونقصان العقل، وإن ما يحصل من السفيه في إنفاق المال بما لا يُرضي الله يُبيّن الحقيقة في أنّ السفه سببٌ من أسباب الإسراف.

المقارنة بين الإسراف والكرم

ويختلف الإسراف عن الكرم رغم أنّ كلاً منهما عطاء، لكن الكرم يكون وفق أصول الشرع، مثل: إطعام الضيف، وإكرام الفقير. ومنه: فإنّ البخل ضد الكرم، وليس ضد الإسراف، وإنما الإسراف ضد الاعتدال والاستقامة. والإسراف قرين الكبر والمخيلة يظنّ المسرف أنّ له فضلا بإسرافه، فيُصيبه الكبر والبطر، والإسراف كما يكون من الغنيّ، فقد يكون من الفقير أيضا؛ لأنّ الإسراف في هذه الحالة أمر نسبيّ.

أبشع صور الإسراف

لقد قدم الإسلام للبشرية منهجا متكاملا وتصورا واضحا عن طبيعة التصرف في جميع شئون الحياة، وبين بشكل واضح حدود الحلال والحرام فيها، ونهى عن الإسراف في شتى صوره، وإن أبشع صور الإسراف عندما يكون في معصية الله والتعدي على حدوده، فهو محرم بالإجماع!

ضابط الإنفاق في المباحات

وأما الإنفاق في المباحات فيجب الالتزام بالعدل والاستقامة والتوسط فيها، حتى لا يتحول الإنفاق على المآكل والمشرب والملبس إلى البذخ والتفاخر والتعالي على الناس!

شرُّ مواضع الإسراف

بل إنّ شرّ مواضع الإسراف ان تقام الولائم العظيمة ويدعى إليها الأغنياء، ويحرم منها الفقراء، وإنّ ما يلقى منها في القمامات ليُشبع خلقا كثيرا من أهل الحاجة في مناطق المجاعة.

بذل المال في سبيل الله لا يكون إسرافا

وأما المبالغة في بذل المال طاعة لله وفي سبيله، فلا يكون إسرافا، وإن كان هذا البذل مشروطا بأن لا يُضيّع المنفق من يعول، ويذر ذريته عالة على الناس.

الإسراف في مجال العقوبات والحدود

وفي مجال العقوبات والحدود، فإنّ الشرع قد أقرّ عقوبات محددة على أفعال معلومة، ولا يجوز التجاوز في تنفيذها عن حدها المقرر، وقد شدد الإسلام على الالتزام بهذا المنهج في قوله تعالى: ﴿ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يُسرف في القتل إنه كان منصورا﴾ (33) سورة الإسراء. أي لا يتجاوز في القتل إلى غير القاتل من إخوانه وأقربائه كما كان يفعل أهل الجاهلية قديما، وكما هو الحال اليوم مع أهل الجهل حيث تنتشر أعمال الأخذ بالثأر التي تتعارض مع أحكام الإسلام.

لا بدّ من القصد في الأمور كلها

من طبيعة البشر التوسعُ في النفقات، والمبالغة في الاستهلاك، وهدرُ الأموال عند أول شعور بالثراء واليسار، ولا يعرفون أيّ معنىً لوفرة المال إذا لم يصاحبها استهلاك أكثر، ورفاهية وتمتع بالكماليات أوسع، وقد صرح القرآن بأن من طبيعة الإنسان السرف عند الجدة، وتجاوز حدود القصد والاعتدال، قال الله تعالى: ﴿كلا إن الإنسان ليطغى× أن رآه استغنى﴾ (6 – 7) سورة العلق. وقال تعالى: ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء﴾ (27) سورة الشورى.

ولتهذيب الإنسان وتربيته أمر الله تعالى بالقصد في الأمور كلها حتى في أمور العبادات؛ كيلا يملها العبد: قال -عليه الصلاة والسلام-: (والقصدَ القصدَ تبلغوا) 1.

الإسراف ضدّ القصد

وضدّ القصد السرف وهو منهيّ عنه كما في قوله تعالى: ﴿ولا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (31) سورة الأعراف. ومن دعاء عباد الله الصالحين: ﴿ربنا اغفرْ لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبّتْ أقدامنا وانصرْنا على القوم الكافرين﴾ (147) سورة آل عمران.

ما ورد في الإسراف في الأطعمة

والإسراف في شراء الأطعمة وأكلها أو رميها من مواطن النهي الجلي في القرآن، قال تعالى: ﴿كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾ (141) سورة الأنعام. وكذا الإسراف في الملابس والمراكب والأثاث وغيرها مجرمٌ كما قال تعالى: ﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾ (31) سورة الأعراف. وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (كلوا وتصدقوا والبسوا في غير إسراف ولا مخيلة) 2.

لماذا التشديد في النهي عن السرف

قد يتساءل متسائل:

لماذا يُنهى عن السرف، ولماذا هذا التشديد في النهي عن السرف؟

فالجواب أنه:

ما كان ذلك إلا لأجل الحفاظ على الأموال والموارد التي يُسأل عنها العبدُ يوم القيامة؛ فهو يُسأل عن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟ والسرف يعارض حفظ المال، بل يتلفه ويؤدي إلى إفقار نفسه، ومن ثم إفقار أهل بيته وقرابته وأمته، والله تعالى كره لنا قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال!

إنّ حفظ المال فيه حفظُ الدين والعرض والشرف، والأممُ التي لا تمتلك المال لا يحترمها الآخرون، والشخص الذي ليس له قوة من مال أو جاه لا ينظر الناس إليه ولا يأبهون به، ومن أجل ذلك قال الحكماء: من حفظ ماله فقد حفظ الأكرمين: الدين والعرض.

السَّرَف طريق محرّم في الإنفاق

إنّ الشريعة الإسلامية لم تحرم اكتساب الأموال ونماءها والتزود منها، بل حضت على ذلك، ولكنها حرمت الطرق المحرمة في كسبها وإنفاقها، وإن من الطرق المحرمة في إنفاقها السرف فيها وإهدارها بغير حق، إما في سفر باذخ محرم، وإما في حفلة زواج باهظة الثمن، ولو تأملنا فيما ينفق من أموال على السفر إلى بلاد الكفر والفجور لوجدناه يعدل ميزانيات دول كاملة، وما ينفق على حفلات الأعراس التي يلقى فائض أطعمتها في النفايات يساهم في إنقاذ الملايين ممن يموتون جوعا، وفي كل عام يموت الآلاف من البشر جوعا؛ فهل من حفظ المال هدره بأي طريقة؟ وهل من شكر الله تعالى على نعمته إنفاقه فيما يسخطه سبحانه وتعالى؟!

كان من هدي السلف القصدُ

فاقتدوا بسلف الأمة الذين لم يكن من هديهم الإسراف وتضييع الأموال؛ بل كانوا مقتصدين ينفقون أموالهم في الحق، ويحفظونها عن الإنفاق فيما لا فائدة فيه، قال الحسن -رحمه الله-: «كانوا في الرّحال مخاصيب، وفي الأثاث والثياب مجاديب». أي: ما كانوا يعتنون بالتوسعة في أثاث البيت من فرش ووسائد وغيره، وفي ثياب اللبس وما يجري مجراها كما يتوسعون في الإنفاق على الأهل». لقد كانوا -رحمهم الله- مع زهدهم وورعهم يعتنون بقليل المال ولا يحتقرون منه شيئا مع اقتصاد في المعيشة والنفقة؛ ولذا كان القليل من المال يكفيهم، وقد أبصرت أم المؤمنين ميمونة -رضي الله عنها- حبة رمان في الأرض فأخذتها وقالت: إنّ الله لا يحب الفساد.

شيوع ظاهرة السّرف والإنفاق

إن السرف في الإنفاق في العصور المتأخرة تحوّل من سلوك فرديّ لدى بعض التجار والواجدين إلى ظاهرة عامة تجتاح الأمة كلها؛ فالواجد يُسرف، والذي لا يجد يقترض من أجل أن يسرف ويلبي متطلبات أسرته من الكماليات وما لا يحتاجون إليه، وهذا من إفرازات الرأسمالية العالمية التي اقتنع الناس بذلك عبر الدعاية والإعلان في وسائل الإعلام المختلفة.

إن المذاهب الرأسمالية ترى أنّ المحرك الأساس للإنتاج هو الطلب؛ فحيثما وجد الطلب وجد الإنتاج، ومن ثم فإن الإعلانات التجارية تتولى فتح شهية المستهلك للاستهلاك، وتلقي في روعه أنه إذا لم يستهلك السلع المعلن عنها فسيكون غير سعيد، وغير فعال، وسيظهر بمظهر غير لائق، وهذا كله جعل الناس يلهثون خلف سلع كمالية، ويبكون عليها كما يبكي المولود في طلب الرضاعة، وأضحى ربّ الأسرة المستورة يستدين بالربا من البنوك لتلبية رغبة أسرته في السفر للخارج، أو لإقامة حفلة زواج لابنه أو ابنته تليق بواقع الناس، وهكذا يقال في العمران والأثاث والمراكب والملابس والمطاعم وغيرها، بينما منهج الإسلام تربية الناس لا على الاستهلاك وإنما على الاستغناء عن الأشياء بدل الاستغناء بها حتى لا تستعبدهم المادة كما هو حال كثير من الناس اليوم؛ إذ أصبحوا منساقين بلا إرادة ولا تبصّر إلى الإسراف وهدر الأموال فيما لا ينفع تقليدا للغير.

أيها المسرف!

هل من معاني الأخوة في الدين أن تستمتع بما أعطاك الله فيما حرّم عليك وأنت ترى مآسي إخوانك المسلمين؟! ولو لم يوجد مسلم على وجه الأرض يحتاج إلى جزء من مالك بسدّ رمقه ويبقى على حياته لما حسُن بك أن تهدر مالك في غير نفع؛ فكيف والمسلمون في كل يوم يموت منهم العشرات بل المئات من جراء التجويع والحصار والحرمان؟!

احذر عاقبة الإسراف!

إن عدم الاهتمام بذلك قد يكون سببا للعقوبة وزوال الأموال، وإفقار الناس؛ حتى يتمنوا ما كانوا يُلقون بالأمس في النفايات -عياذا بالله- وكم يمر بالناس من عبر في ذلك ولكن قلّ من يعتبر؛ فكم من أسر افتقرت من بعد الغنى؟! وكم من دول بطرت شعوبها وأسرفت على نفسها فابتلاها الله بالحروب والفتن التي عصفت بها، فتمنى أفرادها بعض ما كانوا يملكون من قبل؟! والتاريخ مليء بأحداث من هذا النوع؛ فالمعتمد بن عبّاد -رحمه الله- كان من ملوك الأندلس، ويملك الأموال الطائلة، والقصور العظيمة، ولما اشتهت زوجته وبعض بناته أن يتخوّضن في الطين أمر بالعنبر والعود فوُضع في ساحة قصره، ورُش عليه ماء الورد وأنواع من الطيب، وعُجن حتى صار مثل الطين؛ فتخوّضت فيه أسرته المترفة، وما مانت تلك الأسرة المترفة حتى ذاقت طعم الفقر والم الجوع! إذ استولى «يوسف بن تاشفين» على مملكة ابن عباد، وكان النسوة اللاتي تخوّضن في العود والعنبر لا يجدن ما يأكلن إلا من غزل الصوف بأيديهن الذي لا يسد إلا بعض جوعهن. وهذا أبو عبد الله الزغل من آخر ملوك غرناطة الأندلسية باع أملاكه فيها بعد أن استولى عليها النصارى، وحمل مالا عظيما قدّر بخمسة ملايين من العملة المعروفة آنذاك، ورحل إلى إفريقيا، فقبض عليه وصودرت أمواله، وشُملت عيناه، ورمي في السجن بسبب بيعه غرناطة للنصارى وتخليه عنها، ولما خرج من السجن لم يجد من يطعمه ويؤويه، فأخذ يستعطي الناس في الأسواق، ويطوف وعلى ثيابه رق غزال مكتوب عليه: «هذا سلطان الأندلس العاثر المجد، لعل من يراه يرحمه ويعطيه بعض المال.

لقد آبان لنا التاريخ عاقبة المسرفين كانت ذلا وخسرا؛ فواجب علينا أن لا نطغى إذا أعطينا؛ بل نشكر المنعم سبحانه بتسخير نعمه لطاعته والاقتصاد في الإنفاق؛ فذلك خير لنا في الدنيا والآخرة، وهو سبب حفظ المال3.

اللهم احفظ علينا نعمك، ووفقنا لشكرك وطاعتك، واعنا على ذكرك وحسن عبادتك، واجعل ما انعمت به علينا من الخيرات معينة على ما أمرتنا به من الطاعات.

أثر القرآن الكريم في النفوس المؤمنة

القرآن الكريم هو المُعجزة الخالدة لهذا الدين، وهو الكتاب الحكم الذي أنزل على النبي الكريم، وإذا كان الأنبياء السابقون عليهم السلام قد أوتوا من المُعجزات ما آمن عليه البشر في وقتهم، ثمّ انتهت هذه المعجزات بموتهم، وفناء أقوامهم، فإن الذي أوتيه محمد صلى الله عليه وسلم ظل وسيظلّ مُعجزة يُدركها اللاحقون بعد السابقين، ويراها المتأخرون كما رآها المتقدمون، وتلك وربي معجزة تتناسب وطبيعة هذا الدين الذي أراد الله له أن يكون آخر الأديان، وتتناسب مع القرآن الذي أراد الله أن يكون آخر كتاب أنزل من السماء، يقول النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك كله: ((ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إليّ؛ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة))؛ رواه البخاري ومسلم.

ولما كان العرب أرباب الفصاحة والحوار والمناظرة، نزل القرآن ليتحداهم جميعًا، إنسهم وجنهم في الفصاحة والبلاغة: ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ﴾ [الإسراء: 88].

وفوق ذلك فقد استطاع القرآن الكريم أن يخترق قلوبهم، وهم بعد على الكفر والضلال، وما زال يؤثر فيها حتى عاد أصحابها إلى الهدى والإيمان، يقول جبير بن مطعم بن عدي القرشي النوفلي رضي الله عنه – وكان من أكابر قريش وعلماء النسب فيها –: «سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ × أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ × أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ﴾ [الطور: 35 – 37]، كاد قلبي أن يطير»؛ البخاري، وإن كان تأخر إسلامه إلى ما بين الحديبية والفتح وقبل خيبر.

وكانت قصة عتبة بن ربيعة، وهي مشهورة وإسنادها حسن، وخلاصتها أن قريشا اختارت أحسن رجالها ليكلم النبي صلى الله عليه وسلم، فجاء أبو الوليد عتبة بن ربيعة وكلم النبي صلى الله عليه وسلم كثيرًا وهو مُنصت له، فلما فرغ قال: ((قد فرغت يا أبا الوليد؟))، قال: نعم، قال: ((فاسمع مني)) قال: افعل.

قال: ((بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ حم × تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ × كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ × بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ × وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ﴾ [فصلت: 1 – 5]))؛

ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها يقرؤها عليه، فلما سمعها منه عُتبة أنصت لها، وألقى يديه خلف ظهره معتمدًا عليهما، يسمع منه، ثم انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة منها فسجد، ثم قال: ((قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك))، فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به! فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟

قال: ورائي أني قد سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة، يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي، وخلّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب، فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به!

قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه.

قال: هذا رأيي فيه، فاصنعوا ما بدا لكم.

وكان للقرآن أثره البالغ على أفئدة قساوسة النصارى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [المائدة: 83]، بل تأثر به مردة الجان الذين كانوا قبل نزوله يسترقون السمع: ﴿ فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا × يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا ﴾ [الجن: 1، 2].

فقد أخرج الحاكم وغيره بإسناد حسن عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: «هبطوا – يعني الجن – على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ القرآن ببطن نخلة، فلما سمعوه قالوا: أنصتوا، قالوا: صه، وكانوا سبعة أحدهم زوبعة، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ × قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ × يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ × وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأحقاف: 29 – 32].

وإذا كان هذا منطق الجنّ تجاه القرآن الكريم، فللملائكة كذلك شأن مع القرآن الكريم؛ فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما – واللفظ للبخاري – عن أسيد بن حضير، قال: «بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة، وفرسه مربوطة عنده، إذ جالت الفرس، فسكت فسكتت، فقرأ فجالت الفرس، فسكت وسكتت الفرس، ثم قرأ فجالت الفرس فانصرف، وكان ابنه يحيى قريبًا منها، فأشفق أن تصيبه، فلما اجترّه رفع رأسه إلى السماء، حتى ما يراها، فلما أصبح حدث النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: ((اقرأ يا بن حضير، اقرأ يا بن حضير))، قال: فأشفقت يا رسول الله أن تطأ يحيى، وكان منها قريبًا، فرفعت رأسي فانصرفت إليه، فرفعت رأسي إلى السماء، فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح، فخرجت حتى لا أراها، قال: ((وتدري ما ذاك؟))، قال: لا، قال: ((تلك الملائكة دنت لصوتك، ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها، لا تتوارى منهم)).

وفي صحيح مسلم كان رجل يقرأ سورة الكهف وإلى جانبه حصان مربوط بشطنين فتغشته سحابة فجعلت تدنو وتدنو وجعل فرسه ينفر، فلما أصبح أتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له، فقال: ((تلك السكينة تنزلت بالقرآن)).